كان الروس والبولونيون يرغبون في القتال ، ولكـن عداءهما كان قائما على نوع من النفور المتبادل أكثر من أن يكون قائما على ضرورات اقتصادية أو حيوية . ومع ذلك فإن الحرب من أجـل الحصول على مرافىء حرة على البالطيق كانت مكتوبة في ألواح القدر بالنسبة لروسيا ، وما بدا به إيڤان سيكون من نصيب بطرس الأكبر أن ينهيه . اما روسيا القرن السادس عشر فقد كانت مدفوعة بغريزتها العمياء عندما تحولت إلى فتح مقاطعة ليڤونيا .

وعندما وصلت إلى موسكو بعثة جديدة من التجار الإنكليز كـان إيڤان مشغولاً جداً بمشاريع حروبه الجديدة لدرجة انه لم يكن لديه الكثير من الوقت لتخصيصه لهم . فقد كان القيصر عائداً من ميادين القتال في الشرق لأن خان تتر القرم كان طوال الصيف الفائت يسير على خطا الحرب . والسبب في ذلك هو ان الخان كان قد استعاد ستين الفا من الخيول معظمها من نوع الخيول الصغيرة الحجم المألوفة في تلك السهوب كانت في اسر الروس ، ولكن كان بينها مائتان من خيول الحرب ذات الدم النقي كانت ملكاً للنبلاء . وجرت معارك دامية ووقعت خسائر جدية في كل من الطرفين جرح فيها إيڤان شيريميتييف وقتل الباسل الهمام ڤويڤور سيدوروف ، ولكنهم تخلصوا من تتر الجنوب لشتاء آخر واصبح على إيڤان أن يلفت انتباهـه الى الغرب الى ليتوانيا وليڤونيا والسويد .

اما ليڤونيا التي كانت قد كفت منذ زمن طويل عن الوجود كمنطقة جغرافية فقد اصبحت ولاية تتألف مما يعرف اليوم ببروسيا الشرقية ومن جزء من لاتڤيا ومن إستونيا . وكان فيها نواة من اغنياء التجـار يقيمون في ريغا وريڤال ودوربات . وكان سكانها من الفينيين والليتون والألمان ولكن الروس كانوا يطلقون عليهم كلهم اسم الألمان دون تمييز . وكانت خاضعة لنظام فرسان التيوتون ورئيسهم الكبير ، وهو نظام يعود الى القرون الوسطى وعلى وشك الانقراض . وكانت ادارتها متراخية ضعيفة من الناحيتين السياسية والعسكرية ، كما كانت ثرواتها التي